أهم أبعاد الرواية

البعد الإجتماعي

تضعنا الرواية أمام وضع إجتماعي منحرف يجمع بين الجريمة، فساد القيم، الدعارة، تجارة السلاح، السرقة، التستر على المجرمين و سقوط أبرياء لا علاقة لهم بالصراع. كما تبين ما تنطوي عليه الطبقية الإجتماعية من مآسي إنسانية كارثية، و ظهور ممارسات أخرى أكثر تعقيدا كالخيانة و الغدر و الإنتهازية التي راح سعيد مهران ضحيتها ، و التي أججت نار الإنتقام .

البعد النفسي

عموما، البعد النفسي في الرواية يطبعه التوتر، القلق، التوجس، الإضطراب كقاسم مشترك بين الشخصيات و إن اختلفت الأسباب ، وقد تطور إلى و الإحساس بالمهانة و الخزي و العار أمام الأسرة و الأصدقاء و الذات، الذي ولد الحقد و الغضب و الرغبة الواضحة في الإنتقام التي تغمر سعيد و هو مقبل على الإنتقام ، أو رؤوف و هو يتلدد بمطاردة سعيد للتخلص منه. و يتأرجح البعد النفسي تارة بين الإنشراح و التفاؤل أثناء الإعداد للإنتقام، و بين الإحباط و الندم بعد مشوار طويل من القلق و الإضطراب نتيجة فشل المحاولات الإنتقامية بسبب التسرع و التهور و التقديرات الخاطئة . أما بالنسبة للمشاعر العاطفية كالحب، فسعيد مهران لم يعرف طيلة حياته إلا حبا جريحا، كحبه لنبوية الدي تحول إلى كراهية بفعل الخيانة، و حبه لابنته سناء التي انكرته ثم حب نور لسعيد الذي فات زمنه .

البعد الزمني

وظف نجيب محفوظ في الرواية زمنا صاعدا خطيا ينطلق من حاضر الخروج من السجن إلى مستقبل الإستسلام بعد مشوار طويل من الطاردة . بيد أن هذا الزمن ينحرف تارة إلى الماضي لاسترجاعه أو إلى المستقبل لاستشرافه. و قد كشفت لنا تقنية الإسترجاع أو الفلاش باك عن تفاصيل الحدث القبلية التي كانت وراء دخول سعيد مهران إلى السجن و المجسدة من طرف الخونة، ثم التفاصيل البعدية أو المقبلة التي تطلعنا على مخطط سعيد الإنتقامي نتيجة الخيانة و الغدر التي تلقاها من هؤلاء. كما أطلعتنا هذه التقنية على بعض تفاصيل ماضي سعيد مهران أثناء استرجاعه لذكريات تعرفه على نبوية و زواجهما الذي أثمر البنت سناء ثم تفاصيل طفولته المتواضعة مع والده، بالإضافة إلى استعادة ذكرياته مع أستاذه رؤوف الذي خان المبادئ و تنكر لتلميذه سعيد. و يزاوج الكاتب على مستوى الإيقاع بين السرعة و البطء ، حيث يتجلى الإيقاع السريع في الحدف و التلخيص ، أما الإيقاع البطيء فيكمن في الوقفة الوصفية و المشاهد الدرامية .

البعد الأسلوبي

تأسيس نجيب محفوظ لتجربة جديدة تمزج بين اللغة الفصحى و اللغة العامية في محاولة لصبر أغوار الإنسان العربي و كشف همومه الإجتماعية و النفسية. و قد أكثر من السرد ليقترب من الواقع أكثر لتصويره و تشخيصه بطريقة تراجيدية ، و يمتاز السرد بتعدد الرؤى السردية حيث يتداخل صوت الكاتب بصوت السارد و الشخصية، من أجل الإحاطة بهموم الشخصية من كل الجوانب. كما تتميز اللغة باعتماد حقول معجمية متعددة من قبيل : حقل الحرية، حقل الموت، حقل الدين و التصوف، حقل الأثاث، حقل الطبيعة، حقل الصحافة و الإعلام، حقل السلطة و الجريمة، حقل الوجود و العبث ، حقل القيم، حقل المجتمع، حقل السياسة ...، و باعتماد لغة الوصف الذي ينصب على الأشخاص و الأماكن و الأشياء ، و له وظائف جمالية، دلالية و توضيحية تفسيرية . كما التجأ الكاتب إلى توظيف الحوار المباشر قصد معرفة تصورات الشخصيات و تناقض مواقفها الإيديولوجية، ثم خصص المونولوج للشخصية المركزية بهدف التعبير عن صراعها و تمزقها الداخلي ذهنيا و نفسيا .

قيم الرواية

القناعة و الإستسلام للأمر الواقع	الإلتزام الإيديولوجي و الإيمان الصادق بالعنف الثوري	الإخلاص ثم الإنحراف و الخروج عن القانون	الإغتناء على حساب القيم الأصلية و الإنتماء الطبقي	الإنتهازية و الغدر ثم الإغتناء على حساب الآخرين	الغدر و الخيانة الزوجية
علي الجنيدي	سعيد مهران	نور و طرزان	رؤوف علوان	عليش سدرة	نبوية سليمان

رهان الرواية

يتمثل في نقد المجتمع المصري من خلال مجموعة من الظاهر الإجتماعية السلبية كالفقر ، السرقة ، الجريمة ، الدعارة ، التسلق الطبقي ، فساد القيم ، الإنتهازية و الخيانة . و لإنجاح هذا الرهان و تحقيقه، أفشل نجيب محفوظ رهان بطله سعيد مهران المتمثل في الإنتقام، و دلك للكشف عن فداحة الواقع الإجتماعي المصري و المآسي الإنسانية الكارثية التي ينطوي عليها، ثم ليبين أن المحاولات و التضحيات الفردية لتغيير الواقع مآلها الفشل مهما كان هذا الواقع ظالما و مأساويا، لأن الأمر يتطلب تضحيات جماعية لكي ينتصر الحق على الباطل.

Moutamadris.ma